الفصل الخامس

وفـاتـه

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ــ طاعون عمواس

استمرت الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام على يد أبي عبيدة بن الجراح فحل بأرض الأردن وأتى بيسان وطبرية وحاصرهما فصالحا على صلح دمشق ، ثم سار إلى بعلبك وإلى حماة فصالحه أهلهما ثم إلى أنطاكية حتى أتم سورية ، وجعل على كل كورة فتحها عاملا ورتب فيها المرابطة والجيوش ونظم شئون البلاد بالعدل والرأفة والأناة ، حتى أن تفشى الطاعون في البلاد سنة ١٨ هـ ، وهو الطاعون المعروف باسم طاعون عمواس ، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس بناحية الأردن . فاجتاح السكان وأتى على آلاف المسلمين فحصدهم حصدا .

ولما اشتعل المرض وبلغ ذلك عمر ، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك ، أما بعد : فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا آن لاتضعه من يدك حتى تقبل (إلي) ، فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب إليه : يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك إلي وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه فحللني من عزيمتك ، فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس : يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ فقال : لا وكأن قد ، وكتب إليه عمر ليرفعن بالمسلمين من تلك الأرض فدعا أبا موسى فقال له : ارتدْ للمسلمين منزلا قال : فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت إليه فقلت له : والله لقد كان في أهلي حدث ، فقال : لعل صاحبتك أصيبت ، قلت : نعم ، قال : فأمر ببعيره فرحل له فلما

وضع رجله في غرزه طُعِن ، فقال : والله لقد أصبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ، وكان أبو عبيدة قد قام في الناس (خطيبا) فقال : أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظه .

ثم قال : وإني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تهلككم الدنيا ، فإن امرأ لو عُمِّر ألف حَوْلٍ ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون . الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون . وأكيسهم أطوعهم له وأعملهم ليوم معاده . والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان معاذ بن جبل حاضرا ، فاستخلفه على الناس وقال : يا معاذ بن جبل صل بالناس . وطعن فمات ، وصلى عليه معاذ بن جبل ونزل في قبره هو وعمرو بن العاص والضحاك بن مزاحم ثم قام معاذ بن جبل في الناس فقال :

يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فإن عبدا لا يلقى الله تائبا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له ، من كان عليه من دين فليقضه ، فإن العبد مرتهن بدينه ، ومن أصبح منكم مهاجرا (مقاطعا) أخاه فليلقه فليصالحه ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث ، والدين عظيم ، إنكم أيها المسلمون فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبدا أبر صدرا ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حبا للعامة ولا أنصح للعامة منه . فترحموا عليه – رحمه الله – واحضروا الصلاة عليه[1] .

واستعمله سيدنا عمر على الشام حين مات أبو عبيدة .

---

(١) انظر كتاب أشهر مشاهير الإسلام ، رفيق العظم ، ص ٥٢٠ .

٢ ــ ذكر مرضــه

عن طارق بن عبد الرحمن قال : وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس : ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء ، فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيبا فقال : إنه قد بلغني ما تقولون ، وإنما هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وكموت الصالحين قبلكم ، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك : أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أم منافق وخافوا إمارة الصبيان[١] .

وعن شهر بن حوشب ، عن راية – رجل من قومه ، كان شهد طاعون عمواس – قال : لما اشتعل الوجع[٢] قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيبا فقال :

أيها الناس : إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه .

قال : وطعن[٣]، فمات – رحمة الله عليه – واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال : أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن معاذا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه .

قال : فطعن ابنه عبد الرحمن . قال : ثم قام فدعا ربه لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئا من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص .

---

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ – ٥٠٢ .

(٢) اشتد وانتشر ، وهو من المجاز ، وعمواس : بفتح العين والميم ، وهو الأشهر : بليدة في فلسطين بين الرملة وبيت المقدس ، بدأ فيها الطاعون الجارف أيام عمر بن الخطاب ، مات فيه خمسة وعشرون ألفا منهم أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان .

(٣) أصابة الطاعون .

وعن عبد الله بن رافع قال : لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف على الناس معاذ بن جبل . واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ : ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز(١) . فقال : إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده منكم ، أيها الناس : أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء منها ، قالوا : وما هن ؟ قال : يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر ، ويقول الرجل : والله لا أدري علام أنا ؟ لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويعطى الرجل من المال مَالِ الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله ، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة .

فطعن ابناه فقال : كيف نجدانكما ؟ قالا : يا أبانا ، « الحق من ربك فلا تَكُن من الممترين »(٢)، قال : وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين .

ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول : اللهم إنها صغيرة فبارك فيها ، فإنك تبارك في الصغيرة ، حتى هلك .

وعن الحارث بن عمير قال : طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ، وأبو مالك الأشعري في يوم واحد . فقال معاذ : إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين من قبلكم ، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة . فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بِكْرُه الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه . فرجع من المسجد فوجده مكروبا فقال : يا عبد الرحمن كيف أنت ؟ فقال : يا أبت « الحق من ربك فلا تكن من الممترين »(٣)فقال معاذ : وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين(٤). فأمسكه ليلته ثم دفنه من الغد .

---

(١) الرجز : العذاب المضيق ، وبه سمي الطاعون .

(٢ ، ٣) من آل عمران ، الآية : ٦٠ .

(٤) والآية هى « ستجدنى إن شاء الله من الصابرين « سورة الصافات ، الآية ١٠٢ .

٣ ــ استشهاده

عن جنادة بن أبي أمية قال : دخل قوم على معاذ بن جبل في مرضه ، فقالوا له : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم تنسه ولم يشبه عليك . فقال : أجلسوني ، فأخذ بعض القوم بيده ، وقعد بعض القوم وراءه ، فقال : لأحدثكم حديثا سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم – لم أنسه ولم يشبه علي ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم – : « ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال ، وأنا أحذركم أمر الدجال ، إنه أعور وإن الله ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه الكتاب وغير الكتاب ، معه جنة ونار ، فناره جنة وجنته نار »[١] .

ولما حضره الموت . قال : انظروا أصبحنا ؟ فأتى فقيل : لم تصبح ، فقال انظروا أصبحنا ؟ فأتى فقيل له : لم تصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل : قد أصبحت . قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ، مرحبا بالموت مرحبا ، زائر مغب ، حبيب جاء على فاقة . اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[٢] .

وكانت وفاته سنة ثمانية عشر من الهجرة ، وختم الله له بالشهادة – فالطاعون شهادة لكل مسلم – وهو ابن ثمان وثلاثين سنة على الصحيح[٣] . ودفن في شرق غوربيسان فى الشام بالقرب من قرية القصير[٤] من شرقيها .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، نشرة توري ، ليدن ١٩٢٠ ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .
(٢) أبونعيم ، حلية الأولياء ، ص ٢٤٠ .
(٣) انظر ابن حجر ، نهذيب التهذيب ، ١٠/ ١٨٦ .
(٤) قصير المعينى ، انظر العمرى ، مسالك الأبصار ١/ ٢١٧ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ٣٦٧/٤ حيث جاء أنها قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن .

وقال النويرى[1]: إن قبره معروف هناك ، وإنه زاره غير مرة ، وإن بينه وبين قبر أبى عبيدة نحوا من مرحلة .

قال ابن حزم فى الفصل :[2] لو عمرّ الإنسان الدهر كله فى طاعات متصلة ، ما وازى عمل امرىء صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

والواقع أن المرء مهما كتب وأسهب فى الكتابة ، ومهما شرح وأطال فى الشرح ، فلن يستطيع أن يوفى هذا الصحابى الجليل حقه ، فهو ركن ركين من أركان الإسلام ، ونجم ساطع من نجوم الهدى ، غير أننا سنظل دائما أبدا نردد قولة رسولنا الكريم وهو يمتدحه : « نعم الرجل معاذ بن جبل »[3].

حقا ! لقد كان معاذ بن جبل نعم الرجل ! رضى الله عنه وأرضاه ، وروح روحه الطاهرة ونوَّر ضريحه وطيب ثراه .

---

(١) نهاية الأرب ٣٥٨/١٩ . وقبر أبى عبيدة بن الجراح فى قرية يقال لها عَمْنَا بالأردن ، ياقوت المرجع السابق ، ١٥٣/٤ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٥/ ٦٨ .

(٣) من حديث حسن أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب ، باب ٣٣ (٦٢٥/٥) .

المصـــادر والمراجـــع

١ ــ مصادر رئيسية

ــ القرآن الكريم

ــ كتب السنة والمساند

٢ ــ المخطوطـات

القاضي ، حاجي مصطفى

ــ مجموعة اللطائف وصندوق المعارف ، ليدن رقم ٤٠٠

المناوي ، عبد الرؤوف

ــ مخطوطة شستربيتى رقم ٣٦٢٦

مجموعة – مخطوطة الاسكوريال رقم ٧١٠

مجموعة – مخطوطة باريس رقم ٥٠٧٥

٣ ــ المؤلفـــات

ابن الأثير الجزري ، عز الدين عبد الكريم الشيباني

ــ الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٠

ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، طهران ، ١٣٤٢ هـ

عبد الباقي ، محمد فؤاد

١ ــ مفتاح كنوز السنة

٢ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

ــ صفة الصفوة ، حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٥٥ هـ

obeikandl.com

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي
— تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، الدكن ١٣٢٥ هـ
— الإصابة فى تمييز الصحابة ، مصر ، ١٣٢٣ هـ
ابن حجر الهيثمى : أحمد بن محمد الشافعى
مجمع الزوائد ، مصر ، ١٣٢٥ هـ .
ابن حزم : أبومحمد على بن أحمد
الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، بيروت ، ١٩٨٥
ابن خلكان ، شمس الدين
— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت ، ١٩٧٨
ابن أبي الدنيا ، عبدالله بن محمد
— ذم الدنيا ، طبعة القدس ، ١٩٨٤
الذهبي ، شمس الدين بن قايماز الفارقي
— المغازي ، نشرة محمد محمود حمدان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٥
الروندي ، ابن عباد
— غيث المواهب العلية ، القاهرة ، ١٩٧٠
ابن سعد ، أبو عبد الله محمد
الطبقات الكبرى : بيروت ١٩٥٧ م
السيوطي ، جلال الدين بن بكر
— الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨٢

الطبري ، جعفر بن جرير
ـــ تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٧٧
طه حسين
ـــ مرآة الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩
ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن .
ـــ فتوح مصر وأخبارها ، نشرة توري ، ليدن ، ١٩٢٠
ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف النمري القرطبي
ـــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الجزء الثالث ، القاهرة (على هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، مصر ١٣٢٣ هـ)
العظم ، رفيق
ـــ أشهر مشاهير الإسلام ، القاهرة ، ١٩١١
ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي
ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٩ .
العمرى – ابن فضل الله
مسالك الأبصار ، بيروت ، ١٩٨٦
الغزالي ، الإمام أبو حامد
ـــ إحياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٩٣٩
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري
ـــ المعارف ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٨١
ابن قدامة ، موفق الدين
ـــ كتاب التوابين ، دمشق ، ١٩٦١

قنديل ، عبد المنعم
— حياة الصالحين ، القاهرة ، ١٩٨٥
القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي
— صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٩
— نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، القاهرة ١٩٥٩
المقرى ، أحمد بن محمد
— نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، بيروت ، ١٩٦٨
المناوي ، عبد الروءف
— الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، القاهرة ، ١٩٣٦
— كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق (على هامش الجامع الصغير للسيوطي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨٢)
النابلسي ، عبد الغني
— الحقيقة والمجاز ، القاهرة ، ١٩٨٦
ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحق
— الفهرست ، طبعة طهران ، ١٩٧٠
أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله
— حلية الأولياء ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠
النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
— نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، ١٩٧٥ (الجزء التاسع عشر)
ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك
— السيرة النبوية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٥

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت
أبو عبد الله يحيى بن أبى بكر العامري اليمنى
ـــ الرياض المستطابة ، بيروت ، ١٩٧٩
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب
ـــ تاريخ اليعقوبى ، بيروت ، ب ت

obeikandl.com